

رسائل

صباة حنظلة

رسالتان

الرسالة الأولى

(ملاحظة صغيرة: هاي رسالة بالعلن هيك للزلمة الختبار اللي بالخليل، مبارح كان قاعد بيكي بيته اللي هدموله ياه الصهاينة، أنا والله ما بعرفه، ولا بعرف اسمه، عشان هيك قلت أكتب بالعلن، بركي بتوصله رسالتي).

عمي، كيفك؟ والله بعرف انه كل الكلام اللي بالدنيا ما بيكفي ليخفف عنك هلق. قال بيقولوا إنه راحت القصة بالحجر، وإنه اذا الواحد خسر بيته يعني خلص ما بياثر. يا عمي لا ما صحيح. والله ما صحيح، احنا العائدين بنعرف منيح هادا الشعور أكثر من غيرنا بكتير. البيت عنا زي واحد من الأولاد، هيك جدي حيدر بيقول. يا عمي قطعة الأرض أعلى من الدم، لكان ليش احنا حطينا كل هالشهدا إذا الأرض رخيصة أو البيت ما اله قيمة؟ انقهرت كثير يا عمي لما شفت صورتك مبارح، حسيت روجي بدها تطلع، انه البيت مش مجرد حيطان وحجار ورمل وتراب، البيت ذكريات وتعب وعرق وقهر حتى. هون لما اتدينت مصاري من فلان عشان تكمله، هون لما مشي ابنك الصغير اول خطوة. هون لما ولما ولما. ولما البيوت هي ذكريات يا عمي والله عارفة. أنا أصلاً من لما تجوزت بدي ايش وايش كل ما تصير مناسبة ارجع أزور بيت أهلي عشان أقرب من هاي الذكريات اللي تركتها هونيك بالبيت اللي حضني وأنا وصغيرة. بس يا عمي بتعرف شو؟ أنا بعرفك، انت زي أبوي، زي خوالي اللي استشهدوا، زي كثير رجال عنا بالمخيم. بتتضايقوا شوي، وبترجعوا بتحطوا على وجهكم هاي التكشيرة الفلسطينية ما غيرها، وبتبلسوا تعمروا بيتكو من جديد، ولا بيعنيلكو ايا شي ثاني، البيت بدو يرجع يتعمر، مش مهم كيف، مش مهم بايا طريقة، المهم غصبا عن الصهيوني البيت بدو يرجع يوقف. أه، أه، قتللك بعرفكو كثير منيح. بتبينوا هيك خلص انه انكسرتوا ومش عارفة شو. بس والله فشر بعيونهن، بلحظة واحدة بترموا كل هادا عنكو، وبتبلسوا من جديد. صعبة؟ يمكن بس علينا مش صعبة، شفتها قبل وبتصير كل يوم بعد. بتعرف عمي، أقولك شي ثاني، الكل بس يشوف هاي التكشيرة على وجوهكم بيفكر إنكم ما عدتوا تحسوا وانه ما فارقة معكم، وانه قلوبكم حجر. وإنه اذا صرختوا علينا لما كنا صغار كنا نفكركم ما بتحبونا ولا بتحسوا فينا. بس لما كبرت يا عمي، صرت أشوف أبوي، اللي هو مثل حضرتك، مع ولاد אחتي، بيصير زي الولد الصغير، بيصير يلعبهن ويلعب معهن كأنه مش هو نفسه الرجال القاسي اللي بيصرخ وبيخانق على أقل شي. قلبه بيصير زي ولاد אחتي نفسهن، بتحسه واحد منهن. بس هو متعود ان ما الحياة صعبة يفرجي هادا الوجه، يفرجي انه هيك، لانه لو ما يكون هيك الحياة بتكسر. والفلسطيني بعمرها الحياة ما رح تكسر يا عمي. عشان هيك أنا متطمنة ومتفائلة عمي إنك رح تقوم ورح ترجع تعمر البيت زي ما كان واحسن.

الرسالة الثانية

(كمان هاي الرسالة بالعلن للست والدة الشهيد أحمد صابرين اللي كانت عم تودعه من يومين، شفت صورتها وحكتلي زميلتي شدى - من فلسطين - انها كانت عم تسأل: ابني وين؟ حسيت انه بدي احكيها، لانه احنا دايماً مقصرين مع أمهات الشهداء)

خالتي، بمسكي بالخير. اسمي تهاني، أنا فلسطينية من الكويكات، يمكن التعريف هيك بيقرنا بس مش عارفة كيف بدي أبلش. عرفت انه استشهد ابنك، وأنا ما عارفة شو بدي أقولك. احنا تعودنا نبارك بالشهادة، تعودنا نزرع وترقص ونرش رز على جنازات الشهداء. بس والله الموضوع بيوجع، بعرف انه بيوجع، يمكن بيوجعنا النا أكثر من اي حد، بس احنا بنحب تكابر. بعرف والله إني يمكن عم بزبد عليك بحديثي الطويل هادا، بس والله حبيت أقولك انه حاسة بوجعك. بتذكر امي بتحكى قصة عن ستي المختارة - الله برحمها - كانت تدعي لما اختفوا ولادها بالأحداث إنه يا رب رجعلي واحد منهم، كانوا ثلاثة وقتها، الكل كان يستغرب إنه معقول هيك بتدعي؟ هيك بتقولي؟ إنه يرجعك واحد بس؟ أه كانت توقف كل يوم على الشباك وتدعي يارب رجعلي واحد بس، ما بدي كثير، واحد بس. وفعلاً رجعلها بس واحد. احنا بنقنع بالقليل، بنقنع بالأكل القليل، بالعيشة القليلة، بالحياة القليلة، بس بنعيشها، وبتحملها، ما بنطلب كثير ولا بنحلم بكتير، بس نعرف نعيش بكرامة. ابنك يا خالتي اختار الكرامة على أي شي ثاني. يا خالتي بعرف كل كلام الدنيا ما بيكفي ليحكى اللي حاسة فيه. فاهمة والله. بس بدي أحكيك انه هي هاي حكايتنا سواء كنا بالداخل ولا بالخارج، سواء كنا بفلسطين، بلبنان ولا وين ما كان، الفلسطيني نفسه نفسه، الفلسطيني مخلوق عشان يموت وإمه تنكيه. مش رح أطول عليك أكثر من هيك. خالتي، صح استشهد ابنك، بس احنا كلنا ولادك وبناتك. الشهيد ما مات خالتي، وإنك ست العارفين، الله يحميكي ويحفظك.

تهاني نصار

تقرير

اعتراف صريح

الفلسطيني دائماً وحيد في كل شيء. يعيش وجعه وألمه اليومي وحيداً. هناك متضامنون معه، وهم قلة قليلة. إذ لا يشعر بالألم الفلسطيني إلا فلسطيني آخر

عبد الرحمن جاسم

نعترف اليوم أمامكم، بصوت مرتفع، بأن الفلسطيني دائماً وحيد. لا يشاركه أحد وجعه. اللهم إلا القليل، والمشاركة الأكثر إبهاراً تكون - عادةً - طعنة في الظهر: شماتة به، تصغيراً بمقاومته، وفوق كل هذا التطرب على فكرة: أنتم خارج فلسطين تختلفون عن من في داخلها. في الداخل أنتم مقاومون، وفي الخارج أنتم خونة.

كيف يستطيع إخوتنا العرب التفكير بهذه الطريقة؟ لا أحد يعلم كيف يستطيعون القول إن الدم الفلسطيني الذي يسقط خارج فلسطين يختلف عن الذي يسقط داخلها، لا أحد يعلم. لكن جل ما نعلمه هو أننا وحدنا. خلقنا وحدنا، وسنبقى وحدنا؛ وسنموت وحدنا، بالتاكيد. هو ليس استنتاجاً جديداً، نحن نرى، ونشاهد؛ بصمت. فبعد اعتصام الأسرى الطويل (أكثر من 53 يوماً) اكتشفنا كعاد نحن وحدنا، مرة أخرى، وكما أن قضيتنا تخضنا وحدنا، وكل من يتشوق بالحديث عنها غير معني بها. كل جماهيره غير معنية، كل وسائل إعلامه غير مهتمة، وكل ما يهمه من الأمر هو كيف يستفاد من القضية. كيف نعرف ذلك؟ راقبوا إخوتنا العرب، من الخليج الثائر إلى المحيط الهادر، يتلهون بأي شيء، ولديهم القدرة على تضييع أوقاتهم في أي نقاش وخلاف، خلا الدفاع عن أسرى فلسطينيين من المفروض أنهم يعتبرونهم «قضيتهم المركزية». الحقيقة الوحيدة هي: فلسطين ليست القضية المركزية إلا للقلة القليلة. القابضون على جمرها،

وهم كما أشرت: قلة. إذاً، فلننسى المجتمع العادي، ماذا عن الطيبون الحساسون، أولئك المرهفة مشاعرهم تجاه صورة حزينه، أولئك الذين يتحدثون طوال الوقت عن عملهم «الإنساني». ماذا عن الجمعيات «المدنية»؟ الجمعيات الأهلية والأوروبية والإنسانية وحقوق الإنسان وكل هذه الترهات والأكاذيب والخدع، لم تحرك ساكناً لما يحدث في فلسطين. لم يتحركوا من أجل الأسرى، ولا من أجل ما يحدث اليوم في الخليل. نحن الفلسطينيون، هذه هي الحياة التي اخترناها، ونعرف أنها حياة واحدة. نعرف



فلسطين ليست القضية المركزية إلا للقلة القليلة

بعدسة أهلها



في زيارتك الأولى للقدس، لا بد أن تلفتك أدق التفاصيل وأصغرها. ستطيل النظر إلى حجارة القدس القديمة وطرفاتها. ستحدث باعنا حتى لو كنت لا تريد أن تشتري منهم. سنتلقت صوراً لأي شيء. هنا التقط شعيب أبو جهل صورة لهذه السيدة التي افترشت الأرض لتبيع اجنبياً ما أتى من حيث لا نعلم، ولمستوطن يتسكع حيث يجب نحن الفلسطينيون أن نكون



بين كل أصدقائه الذين سقطوا بجانبه في الضفة أو في بيروت أو في الجنوب اللبناني، تنهد أبو جاسر عندما ذكر اسم صديقه مُصعب. قال لي إنه كانت هناك فتاة شامية، طويلة كالخيزرانة، تتمايل كغصن البان، لون عينيها أجمل من خشب الكلاشنيكوف، تحمل خصلة شعر بيضاء تلمع كالنصل الذي يُثنت على سبطانة البندقية، عنيدة وأبية، التعامل معها خطر كحالة تنظيف البندقية والرصاص في بيت النار، وأن مُصعب قد استشهد في حُبها، لم يقل أكثر، وأنا لم أسأل.

هنا كل هذه السنين وناضلتم ودافعتم عن أولى القبلتين وقدمتم الغالي والنفيس من أجل فلسطين، يا من نصبت أبار نفطكم لأجلنا، وذهبت ملياراتكم في سبيل إعداد الجيوش وإمدادها بالأسلحة المتطورة لتحرير مقدساتكم التي يجول فيها المغتصب. يا من تخليتم عن عزكم ورفاهيتكم ورغد عيشكم وعشتم مثلنا في الخيام عوضاً عن القصور، ها أنا اللاجئ الفلسطيني في بلدانكم وسبب كل تعاستكم وحرزكم وبلاويكم، أناشد فخامتكم وجلالتكم وسموكم أن ارحمونا منكم و«حلوا عنا». لم نعد نقوى على كذبكم. اتركونا وحدنا، قولوا لنا كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا. يا حكام العرب ضعونا على حدود وطننا، لكن لا تطلقوا رصاصكم على ظهورنا. سنذهب نحن وربنا لنقاتل وابقوا أنتم في نعيمكم... وعاشت أمتكم العربية!